الدراسات الإفريقية بجامعة محمد الخامس: الحصيلة والآفاق:كلية الآداب والعلوم الإنسانية ومعهد الدراسات الإفريقية نموذجين.

أ.د. الحسين عماري*

مقدمـــة: في البداية لابد من الإشارة إلى أن موضوع الدراسات الإفريقية بالمغرب بشكل عام، وبجامعة محمد الخامس بشكل خاص، يكتسي أهمية بالغة لارتباطه بالعلاقات التاريخية المتينة والوشائج العميقة التي جمعت بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء، هذه العلاقات التي يمكن القول أنها قديمة قدم التاريخ لأنها تعود إلى عهد بعيد قد يصل إلى فترة ما قبل الإسلام[1]، كما أنها متشعبة وذات أوجه متعددة، حيث همت الجوانب التجارية، والعسكرية، والدينية، والدبلوماسية، والثقافية، والإنسانية[2]، بل أبعد من ذلك، فإن بعض الدراسات الحديثة ترى أن فهم مجرى التاريخ المغربي لا يمكن أن يتم إلا في إطار تاريخ إفريقيا بشكل عام وعلاقاته مع إفريقيا جنوب الصحراء بشكل خاص[3]، و"أن فهم روابط المغرب بالبلاد الإفريقية الأخرى هو بمثابة جزء من مشروع فهم أنفسنا، بل هو مشروع مرسوم في هياكل وبنى كياننا" و"بقدر ما أن الكشف عن حقيقة" هذه "الروابط مع إفريقيا مرسوم في ماضينا بقدر ما" أن "التعاون معها مضمن في ثنايا مستقبلنا"[4].

وبالنظر إلى أهمية هذا الموضوع، ولأن حاضر إفريقيا كما يقال هو استمرار لماضيها التاريخي، تأتي هذه المداخلة لتسليط الضوء على واقع الدراسات الإفريقية بجامعة محمد الخامس وبالضبط بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ومعهد الدراسات الإفريقية، من حيث الحصيلة والآفاق من خلال الإجابة على التساؤلات التالية:

ما هو السياق العام الذي ظهرت فيه الدراسات الإفريقية بهاتين المؤسستين المذكورتين؟ وما هي المراحل الأساسية التي مرت منها؟ ما هي حصيلة هذه الدراسات؟ وما هي آفاقها المستقبلية؟

I- السياق العام لظهور الدراسات الإفريقية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ومعهد الدراسات الإفريقية بالرباط، والمراحل التي مرت منها.

1- السياق العام:كما تمت الإشارة إلى ذلك ضمن مقدمة هذه الورقة، فإن موضوع الدراسات الإفريقية بالمغرب بشكل عام وبجامعة محمد الخامس بشكل خاص، ارتبط إلى حد ما بالعلاقات التاريخية المتينة التي جمعت بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء، هذه العلاقات التي رأينا بأنها قديمة ومتشعبة وذات أوجه متنوعة، تجارية، عسكرية، دينية، دبلوماسية، ثقافية، وإنسانية، اكتست أهمية بالغة في مجرى التاريخ المغربي إلى درجة "أن المغرب كان يعلو ويرتفع بتدعيم

*أستاذ التعليم العالي في التاريخ الحديث والمعاصر- المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين- بني ملال- المملكة المغربية.

وترسيخ روابطه مع عمقه الإفريقي ويتراجع ويتقهقر بضمور تلك الروابط وانحلالها"[5].

وإذا كانت العلاقات المغربية- الإفريقية قد عرفت تواصلا مستمرا قبل دخول الاستعمار إلى المنطقة كما يشهد على ذلك التراث المغربي- الإفريقي المشترك، فإن هذه العلاقات لم تلبث أن انقطعت بمجرد ما وطئت أقدام الفرنسيين أرض إفريقيا الغربية، بسبب الإستراتيجية التي نهجتها فرنسا والهادفة إلى فصل المغرب عن جذوره الإفريقية، وطمس الحضارة العربية الإسلامية بإفريقيا أو على الأقل تشويهها[6]، رغم الجهود الذاتية المحدودة التي قام بها المغاربة من أجل إحياء هذه الصلات[7].

كما أن قادة الحركة الوطنية لم يعيروا اهتمامهم لأقطار إفريقيا السوداء أثناء نضالهم من أجل نيل الاستقلال، لكونهم وجهوا أنظارهم نحو المشرق ربما لاختلاف الأوضاع الاجتماعية والسياسية بين شمال إفريقيا وإفريقيا جنوب الصحراء، وكذا أساليب الكفاح بهما والمواقف التي اتخذها الأفارقة أنفسهم[8].

أما بعد الاستقلال، فيمكن القول أن الأوضاع قد تغيرت، وأن العلاقات بين المغرب وعمقه الإفريقي اختلفت من مرحلة إلى أخرى، فخلال المرحلة الممتدة من 1956 إلى 1961، اتسمت هذه العلاقات برغبة المغرب في الانفتاح على إفريقيا، وقد تجلى هذا التوجه في عدة مؤشرات نذكر منها ربطه لعلاقات متميزة مع بعض الدول الإفريقية مثل غانة، عبر من خلالها البلدان عن رغبتهما في تطوير التعاون بينهما، سياسيا، واجتماعيا، واقتصاديا، وحرص المغرب كذلك، على ضرورة خلق وحدة بين بلدان المغرب العربي والقارة السمراء لمواجهة خطر الهيمنة الاقتصادية الأوربية التي حلت محل الاستعمار السياسي[9]، كما عرفت هذه المرحلة حضورا متميزا للمغرب بإفريقيا جنوب الصحراء من خلال مشاركته بوفد هام على رأسه الوزير الأول في مؤتمر منروفيا -عاصمة ليبيريا- في غشت 1959، وترأسه لجلسته الافتتاحية، وتدخله في الكونغو سنة 1960 في إطار تقديمه لمساعدات عسكرية، وتقنية، وإدارية للأقطار الإفريقية ولحركات التحرير، مثل حركتي تحرير أنغولا والموزمبيق هذا بالإضافة إلى احتضانه لمؤتمر حركة عدم الانحياز بالدار البيضاء سنة 1961، الذي اعتبر فوزا دبلوماسيا كبيرا وحدثا سياسيا عظيما[10].

ومع استقلال الجزائر سنة 1962، ومساندتها لمحاولات تأجيل اجتماع مجموعة الدار البيضاء وإنشاء منظمة الوحدة الإفريقية في 25 ماي 1963 التي صادق المغرب على ميثاقها، عبر هذا الأخير عن تحفظه تجاه الحدود الموروثة عن الاستعمار[11]، مما جعل علاقاته مع مختلف الدول الإفريقية مرتبطة إلى حد ما بموقف كل بلد من مطالبه الترابية، وأدى إلى تفكك علاقاته بشكل تدريجي مع أعضاء مجموعة الدار البيضاء لتتوقف بشكل نهائي كما هو الشأن بالنسبة لمصر[12].

ومع بداية 1969، وقعت أحداث ساعدت المغرب على استرجاع مكانته على الساحة الإفريقية من ضمنها الاعتراف باستقلال موريتانيا في نفس السنة، وترأس المغرب لمنظمة الوحدة الإفريقية سنتي 1972-1973، لكن على إثر قضية الصحراء، لم يلبث أن تعرض سنة 1976 لمحاولات عزل دولي رغم مساندته من طرف بعض الدول الإفريقية المعتدلة، لكون خصومه رأوا أنه تخلى عن نزعته الإفريقية وولى وجهه نحو أوربا- ولاسيما منها فرنسا- والشرق الأوسط، لكن مع ذلك، يمكن القول أن التعاون المغربي- الإفريقي استمر ونما بشكل هام بفضل التدابير التي تم اتخاذها من أجل تقوية هذا التعاون بين الطرفين، والتي تجلت في عدة مظاهر نذكر منها:

- إنشاء جمعيات علمية مغربية-إفريقية على غرار رابطة علماء المغرب والسنغال.
- إرسال بعثات دينية إلى بعض الدول الإفريقية.
- إعطاء منح للطلبة الأفارقة لمتابعة دراساتهم بالمغرب.
- تشجيع المستثمرين المغاربة على الاستثمار بإفريقيا.[13]

وفي سياق هذه العلاقات التي جمعت بين الطرفين المغربي والإفريقي- الجنوب صحراوي عبر فترات تاريخية طويلة، وبالنظر إلى أهميتها، أولت جامعة محمد الخامس- ولاسيما منها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط- اهتماما متزايدا للدراسات الإفريقية، فما هي إذن مراحل ومظاهر هذا الاهتمام؟

2- مراحل ومظاهر اهتمام جامعة محمد الخامس بالدراسات الإفريقية:

في هذا الإطار، يمكن أن نميز بين مرحلتين أساسيتين هما:

- مرحلة الستينات إلى الثمانينات
- ومرحلة الثمانينات إلى الوقت الراهن

أ- مرحلة الستينات إلى الثمانينات: وهي مرحلة شكلت إلى حد ما بداية انتعاش الدراسات الإفريقية لأنها تميزت بنشر عدد من المصادر المغربية والسودانية التي ساهمت بشكل عام في تناول عدد من النقط التي تحتاج إلى مزيد من التمحيص والتدقيق[14]، كما تميزت هذه المرحلة بمحاولة الباحثين المغاربة في إطار الحماس الذي كانوا يعيشونه آنذاك، تسليط الضوء على العلاقات التاريخية التي جمعت بين المغرب وإفريقيا من أجل استثمارها في إطار التعاون المغربي- الإفريقي، ولمواجهة المد الكبير لكل من الخطاب التاريخي الأوربي الذي حاول التقليل من أهمية الحضارة الإفريقية ومكانتها الرفيعة، وأصر على التحامل على المغرب وتشويه طبيعة العلاقات التاريخية التي جمعت بينه وبين دول إفريقيا جنوب الصحراء[15] والخطاب التاريخي الإفريقي- الجنوب صحراوي الذي رغم أهميته وسعيه إلى بلورة الوعي الإفريقي من الداخل، فإنه بحكم تأثره في ممارسة الكتابة التاريخية بالطابع الوطني، لا يزال يطرح بعض الإشكاليات، منها أن بعض أحكامه ومواقفه التي اتسمت بنوع من التحامل، مافتئت تجد صدى واسعا في

صفوف مؤرخيه[16]، لكن محاولات الباحثين المغاربة هذه، ظلت مع ذلك محدودة ولم تسفر عن نتائج معينة، لضعفها وعدم قدرتها على مواجهة الخطاب التاريخي الأوربي، ولافتقارها إلى إستراتيجية واضحة ومضبوطة، وعدم استجابة الطرف الإفريقي لها بالشكل المطلوب[17].

ب- مرحلة الثمانينات إلى الوقت الحالي: على إثر بروز قضية الصحراء سنة 1975، وبعد أن تبين للمغرب ضعف الاتصال بالقارة السمراء، اضطر إلى اتخاذ تدابير من أجل تقوية وتطوير التعاون بين الطرفين، وفي هذا السياق أولت كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط خلال الموسم الجامعي 1983/1982 اهتماما بالغا للدراسات الإفريقية من خلال إدراج مادة تاريخ إفريقيا السوداء وبالضبط موضوعي الاستعمار وحركات التحرر في إفريقيا السوداء، والإسلام في غرب ووسط إفريقيا ضمن مواد التكوين في الإجازة بشعبة التاريخ. وبعد سنوات، تم الاقتصار فقط على موضوع الاستعمار وحركات التحرر والتخلي عن الموضوع الثاني، وكان هذا الحدث فرصة مواتية لإدراك الطلبة لأهمية مادة إفريقيا جنوب الصحراء، ولإنجاز العديد من بحوث الإجازة في الموضوع[18].

ومن أهم ما أنجز في هذا الشأن على مستوى كلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة محمد الخامس، فتح وحدة للدراسات الإفريقية بشعبة التاريخ خلال السنة الجامعية 1987/1986 استجابة لإرادة سياسية استهدفت تطوير هذا التخصص، التحق بها عدد من الطلبة لتحضير شهادة استكمال الدروس في موضوع:"العلاقات المغربية- السودانية من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر" بمحوريه الثقافي والتجاري، لكن هذه التجربة لم تعمر طويلا، حيث استمرت فقط لمدة ثلاث سنوات – أي 1987-1988-1989 – لعدة إكراهات حالت دون سيرها العادي، نذكر منها:

- ضعف التأطير وغياب مختصين بالشكل الكافي بالوحدة.
- غياب أقسام لتدريس اللغات الإفريقية.
- افتقار المكتبة إلى وثائق ومصادر متعلقة بإفريقيا.
- ضعف التواصل مع الجامعات الإفريقية وكذا مراكز/معاهد الدراسات الإفريقية بأوربا وأمريكا[19]

غير أن أهم حدث على الإطلاق في هذه المرحلة، هو إنشاء معهد الدراسات الإفريقية بتعليمات خاصة من المغفور له الحسن الثاني سنة 1987، وقد شرع في تنظيم أنشطته العلمية ابتداء من شهر أبريل 1990.وحسب نظامه الأساسي، فهو يختص في كل ما يتعلق بالقيام بالبحث العلمي والعمل على النهوض به، ودراسة مظاهر الحضارات الإفريقية والتراث المغربي- الإفريقي المشترك، واللغات واللهجات الإفريقية، ولهذه الغاية يناط به:

- تنظيم حلقات دراسية وندوات ومحاضرات ومعارض يساهم فيها باحثون مختصون من المغرب وخارجه.

- إقامة علاقات التعاون العلمي مع مؤسسات جامعية وهيئات دولية تسعى لنفس الأهداف.
- المساهمة في المهام العلمية داخل المغرب وخارجه.
- تتبع النشاط العلمي العالمي وخاصة ما له علاقة باختصاصات المعهد، والعمل على جمع المستندات والدراسات والمجلات المختصة.
- طبع وتوزيع نشرة المعهد الدورية وجميع الدراسات ونصوص المحاضرات والندوات التي تدخل ضمن اهتماماتها[20].

وبمقتضى توجهات المعهد فهو بالخصوص:

- **مركز للبحث:** في العلوم الإنسانية وغيرها من الميادين الثقافية والعلمية ذات الصلة بموضوع اهتماماته ويقوم بالبحث أساتذة مختصون ينتمون للمعهد، ويعملون في إطار وحدات البحث المتعددة الاختصاصات.
- **مركز لتنسيق البحث:** إذ يمكن للمعهد أن يستفيد من دراسات وبحوث ذوي الكفاءات والهيئات المختصة بواسطة تعاقد أو عن طريق المساهمات.
- **مركز للتكوين:** حيث يساهم في التكوين عن طريق البحث في ميادين اهتماماته بتعاون وتنسيق مع مؤسسات التكوين.
- **مركز ثقافي:** إذ يهتم بتنظيم الأنشطة الثقافية ونشر المعارف المتعلقة بالميدان الإفريقي.
- **مركز للتوثيق:** بفضل خزانته المتخصصة، وما يعمل على توفيره من مستندات ومعطيات.
- **مركز للنشر:** بواسطة إدارته وذلك على شكل سلسلات مختلفة من "نصوص ووثائق"، ودراسات، وندوات ومحاضرات، وفهارس، ومستندات بيبليوغرافية.
- **مركز للخبرة:** فيما تعرض عليه من طلبات للخبرة، سواء من طرف القطاع العام أو الخاص.[21]

وإذا كان هذا هو السياق العام الذي ظهرت فيه الدراسات الإفريقية بجامعة محمد الخامس وبالضبط بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ومعهد الدراسات الإفريقية، وكذا المراحل التي مرت منها، فما هي حصيلة هذا الحقل المعرفي بالمؤسستين المذكورتين؟

II- حصيلة الدراسات الإفريقية بجامعة محمد الخامس وبالضبط المؤسستين المذكورتين:

1- حصيلة المرحلة الممتدة من الستينات إلى الثمانينات: في إطار الاهتمام بالتراث الإفريقي المخطوط بالمغرب، اهتمت مجموعة من العلماء بهذا التراث، وعرفت به وأبرزت أهميته، ومن بينهم العلامة محمد المنوني الذي له إسهامات متعددة في هذا الإطار، نذكر منها:

- "المصادر العربية لتاريخ المغرب" التي ذكر فيها العديد من المصادر السودانية[22]، كما ضمن دراسته حول:

- "المدرسة الكنتية كأبرز قناة بين الإفريقيتين في العصر الحديث" ولاسيما ضمن الملاحق جملة من مؤلفات الكنتيين بالمغرب وكلها مخطوطة[23].

وعرفت هذه المرحلة نشر عدة مصادر سودانية ومغربية بإفريقيا، نذكر منها على الخصوص:

- كتاب "مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا" لعبد العزيز الفشتالي الذي خصص صفحات هامة للسودان الغربي، حيث تطرق لحملة المنصور على بلاد السودان، والظروف والأسباب التي كانت وراءها[24]، وكذا مراحلها ونتائجها، لكنه يقدم لنا صورة مبالغ فيها إلى حد ما حول الذهب في عهد المنصور، وغنى بلاد السودان به، وجلب المغرب لثروة هائلة منه، مما يثير بعض الشكوك حول هذا الموضوع.

- وكتاب "فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور" لأبي عبد الله الطالب الولاتي الذي حققه محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي سنة 1981، وهو عبارة عن كتاب تراجم، تكمن قيمته العلمية في كونه "يسد فراغا في المكتبة العربية"[25]، ويعالج الحياة الثقافية في غرب إفريقيا خلال القرن الثامن عشر.

- كما ترجم كتاب "وصف إفريقيا" للحسن الوزان، الذي يعد من بين أهم كتب الرحلات والجغرافيا التي تشكل إطارا مرجعيا، ومصدرا نفيسا لا غنى عنه لدراسة جوانب مختلفة من تاريخ العلاقات التجارية بين المغرب وبلاد السودان في بداية العصر الحديث خاصة، لما يزخر به من معطيات قيمة في غاية الأهمية، من شأنها إذا ما استغلت بشكل جيد أن تساعد على إعادة بناء ورسم صورة واضحة عن الروابط والوشائج العميقة التي جمعت بين الطرفين المغربي والسوداني، والتي كان لها الفضل في ظهور تراث مغربي- إفريقي مشترك سيظل شاهدا على تلك الروابط والصلات[26].

- وكتاب "إفريقيا" لمارمول كربخال، الذي يأتي في المرتبة الثانية بعد "وصف إفريقيا" للحسن الوزان ويتكامل معه، وهو مفيد للباحثين في جغرافية إفريقيا وتاريخها في القرن السادس عشر، حيث يتحدث عن الصحراء وخصائصها، ويصف بلاد السود وما فيها من ممالك وأقاليم، ويذكر بعض خصائصها.[27]

2- حصيلة المرحلة الممتدة من الثمانينات إلى الآن:

أ- على مستوى كلية الآداب والعلوم الإنسانية: أسفر إدراج تدريس مادة إفريقيا ما وراء الصحراء ضمن المواد الأساسية للتكوين بشعبة التاريخ، عن فتح المجال للطلبة لإنجاز بحوث الإجازة في الموضوع همت محاور متنوعة[28].

أما تجربة فتح تخصص للدراسات الإفريقية في شعبة التاريخ لنيل شهادة استكمال الدروس التي لم تعمر طويلا بسبب تعدد الإكراهات، فتوجت بتمكن الطلبة الباحثين من إنجاز ومناقشة رسائلهم التي تناولت مواضيع متنوعة تهم السياسة، والدين، والاقتصاد، والمجتمع، يمكن أن نذكر منها على سبيل الاستئناس، الأبحاث التحليلية التي تجاوزت حدود التاريخ المغربي لدراسة، إما تاريخ بلدان إفريقيا جنوب الصحراء وثقافتها، وهذا مكسب وخطوة هامة خطاها البحث

التاريخي ببلادنا، أو دراسة بعض الجوانب من تاريخ المغرب أو العالم العربي الإسلامي في علاقتهما مع إفريقيا جنوب الصحراء، ومن بين هذه الأعمال:

في المجال الديني والاجتماعي:

- خالد شكراوي، الدين والسلطة في إفريقيا الغربية: مساهمة في دراسة بعض البنيات السياسية بالسودان الغربي: 628-1000هـ/ 1230- 1591م.وقد تناولت بالدراسة بلاد السودان من الناحية الدينية والاجتماعية، وخاصة الغزوات التي قام بها الأساكي ضد جيرانهم ودورها في ضعف القدرات العسكرية للجيش الأسكي قبل مواجهة المغاربة في معركة تندبي[29].

- أحمد شكري، الإسلام والمجتمع السوداني: إمبراطورية مالي (1230-1430)، الرباط 1991.

في المجال الفكري:

- سعيد حراش، العلاقات الثقافية بين العالم العربي الإسلامي وإفريقيا الجنوب صحراوية خلال القرنين 16 و17: من الرحلة إلى الهوية والكتابة، الرباط 1993.

بين من خلالها الباحث في محور أول أن الرحلات الجغرافية بين العالم العربي الإسلامي وإفريقيا الجنوب صحراوية أدت إلى انفتاح الطرفين على بعضهما البعض، دينيا، وتجاريا، وسياسيا.

أما المحور الثاني، فأبرز من خلاله أن الهوية العربية الإسلامية لم تكن أبدا مستقرة وثابتة، بل إنها واجهت عبر تاريخها عداوة وكراهية بعض القوى السياسية.

أما الأفارقة فحاولوا ممارسة تأثيراتهم الشخصية من أجل أسلمة وتعريب إفريقيا، وهذا ما نجده في الكتابة الإفريقية.

وفي محور أخير، أوضح الباحث أن الكتابة السودانية خلال القرنين 16 و17 أولت اهتماما كبيرا لإشكاليات العالم العربي العلمية والاجتماعية، وأنها مستوحاة من الغنى البيبليوغرافي العربي ومن وفرة التراث التاريخي والاجتماعي العربي الإسلامي.

وكخلاصة عامة، أشار إلى أنه بالرغم من الجهود المبذولة، يبقى عمله كمساهمة ومحاولة منهجية ونظرية لدراسة العلاقات بين العالم العربي الإسلامي وإفريقيا جنوب الصحراء. وأنه حاول على المستوى المنهجي تحليل المفاهيم التالية:

الرحلة، الهوية، الكتابة، التراث...، متفاديا السقوط في التأويلات اللامحدودة. وعلى مستوى المفهمة النظرية، حاول الاشتغال على الوثائق التاريخية، والعلاقات العلمية والسياسية والدينية...بين العالم العربي الإسلامي وإفريقيا جنوب الصحراء.[30]

في المجال السياسي:

- مبارك آيت عدي، حملة المنصور الذهبي إلى بلاد السودان 999هـ/1591م، الرباط 2003.

تطرق فيها لدوافع الحملة ومبرراتها، وكذا الأوضاع الداخلية والدولية التي تمت فيها والمراحل التي مرت منها، وأخيرا نتائجها وانعكاساتها على كل من المغرب وبلاد السودان.[31]

- صالح شكري، السودان الأوسط: مملكة كانم-برنو القرن 11- 16م.

في المجال الاقتصادي:

- خالد أوشن، النشاط الاقتصادي في النيجر الأعلى من 1230- 1591، الرباط، 2001.

- كريمي ماجدة، العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي في العصر المريني، الرباط، 1984.

- الحسين عماري، المغرب والتجارة العابرة للصحراء من القرن XVم إلى القرن XVIIIم، إسهام في دراسة تاريخ المغرب وعلاقاته التجارية مع السودان الغربي خلال العصر الحديث، الرباط 2003.

تناول فيها بالدراسة الدور الفاعل الذي ظلت التجارة العابرة للصحراء تلعبه في حياة البلاد وتفاعلاتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، من خلال مقاربة بنية هذه التجارة عن طريق رصد مكوناتها والعناصر المتفاعلة داخلها، من محاور، ومراكز تجارية، وإطار منظم للتجارة، والمواد التجارية لاسيما منها الذهب والملح والعبيد، مع إبراز علاقة هذا النشاط بالدولة والمجتمع المغربيين وحضوره الوازن ضمن علاقة المغرب مع القوى المجاورة.

في المجال البيبليوغرافي:

- أحمد الشكري، الشهادات السودانية ونزعات تمثلها للتاريخ المحلي إلى غاية القرن 18م، الرباط 2006.

تطلعت هذه الدراسة إلى بناء تصور واضح المعالم عن المادة المصدرية السودانية العربية المدونة قبل نهاية القرن 18م، من خلال مقاربة السؤال التالي:

ما هي خصوصيات التداول التاريخي السوداني المدون، وما هي طبيعة توجهاته أو نزعاته المقصودة والمضمرة؟

وللإجابة على هذا السؤال المركزي، انطلق الباحث من المسلمة المتداولة بين فئة عريضة من الباحثين، والتي مفادها أن كل مادة مدونة هي ذات أصل شفهي، متسائلا هل حقا هناك تماثل سافر ما بين المنظومتين.

وفي سياق تحديد مدى مساهمة الإنتاج التاريخي السوداني في عملية تمثل الواقع المحلي، تناول الباحث بالدراسة في الفصول الثلاثة الأولى، الإشكاليات المرتبطة بهذا الموضوع، سواء منها ذات الصلة بالجانب المنهجي أو الموضوعي دون إغفال التعريف بالنصوص التاريخية السودانية المنتقاة، وبأصحابها وسياق إنتاجها. أما الفصلين الرابع والخامس، فعالج فيهما الباحث المتن التاريخي السوداني للوقوف على شاراته وخصائصه المميزة.

وكخلاصة، انتهى الباحث إلى أنه على الرغم من التجاذبات التي كانت تتنازع المؤلف السوداني فيما بين أحكام التقاليد الشفهية وأعراف التدوين في الثقافة العربية الإسلامية، فإن مقتضيات الثقافة المحلية الأصلية كان لها تأثير قوي ونافذ على قلمه إلى درجة أنه يمكن أن نعتبر النص السوداني المدون امتدادا أو استمرارية للرواية الشفوية بشكل مرسوم، وبالمثل يمكن أن نعتبر دور الكاتب/ المؤلف في المجتمع السوداني استمرار لدور القوال أو الراوية المخبر أي صاحب الكلام بتعبير المؤرخ السوداني عبد الرحمن السعدي.[32]

وتجدر الإشارة، إلى أن أغلب هذه الأطروحات والرسائل الجامعية لم ينشر بعد.

وهناك صنف من الباحثين – القدماء منهم والشباب- انكب على دراسة بعض الوثائق التاريخية والمخطوطات وترجمتها وتحقيقها، لغناها المعرفي والتراثي، وكشفها عن بعض النقط الغامضة والحساسة في تاريخنا، وقد تم ذلك في إطار إنتاجاتهم العلمية بشكل عام، وفي هذا السياق ندرج مجموعة من الأعمال لاسيما منها المتعلقة بالعصر الحديث مثل:

- بهيجة الشاذلي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور لمحمد بلو بن عثمان بن فودي، دراسة وتحقيق، الرباط، 1990.

- محمد منيار، كتاب إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور لمحمد بلو بن عثمان بن فودي، ترجمة إلى الفرنسية وتقديم، الرباط، 1991.

- أرفاق شفيق، " الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد" لمحمد بن المختار الكنتي الأبواب الأول والرابع والخامس، تقديم وتحقيق، الرباط، 1992.

وهو من أشهر مؤلفات الأدب الصحراوي خلال القرن التاسع عشر، ويتطرق لحياة الشيخ المختار الكنتي وإنتاجه(1729-1811).[33]

أما في إطار الأعمال المنشورة، فلا يمكن أن نغفل مجموعة من الدراسات المونوغرافية التي عالجت بعض الجوانب من تاريخ المغرب الحديث في علاقته بإفريقيا جنوب الصحراء، ومن بينها دراسة العربي مزين حول تافيلالت التي تعكس بوضوح مدى ارتباط تاريخ الجنوب الشرقي المغربي بالتجارة الصحراوية، وتأثير هذا النشاط على العلاقات بين الرحل والمستقرين، ومدى الأهمية التي ظل الملح يكتسيها بالنسبة للتجارة السودانية، وكيف أن التجارة الصحراوية- في عهد سيدي محمد بن عبد الله- لم يعد بإمكانها الصمود أمام تغلغل الأوربيين في قلب إفريقيا السوداء، مما جعل المغرب يفقد دوره كوسيط تجاري بين أوربا وإفريقيا جنوب الصحراء[34].

هذا بالإضافة إلى المقالات التي تم نشرها في مجلات متخصصة من طرف هؤلاء الباحثين مثل مجلة أمل، والمناهل، ودعوة الحق، والبحث التاريخي، والبحث العلمي...،أو ضمن منشورات جمعية موظفي كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط وبالضبط ضمن أعمال ندوة العلاقات بين المغرب وإفريقيا الغربية، وقد تعددت المواضيع التي تناولتها هذه الدراسات، ومعظمها على قدر كبير من الأهمية

وتتطرق للعلاقات بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء وبعض الجوانب من تاريخ المغرب كالعلاقات الثقافية، والروحية، والتجارية، والدينية...[35].

وتبرز هذه الأعمال تعدد الرؤى والتصورات حول بعض القضايا المرتبطة بتاريخ المغرب في علاقته مع إفريقيا جنوب الصحراء، ومن بينها موقف بعض هذه الدراسات من الصورة المبالغ فيها عن الذهب في عهد المنصور وغنى بلاد السودان بهذه المادة، وجلب المغرب لثروة هائلة منها – كما جاء في بعض المصادر المغربية مثل مناهل الصفا للفشتالي، ونزهة الحادي للإفراني...- حيث أبدت شكوكها حول هذه الأطروحة[36]، كما حاولت هذه الأعمال دحض بعض التصورات والأفكار المغلوطة المنطلقة من اعتبارات عنصرية وخلفيات ونوايا استعمارية، التي حرصت بعض الدراسات الأفريقانية الأجنبية ترويجها حول تاريخ المغرب[37].

ب- على مستوى معهد الدراسات الإفريقية: ابتداء من شهر أبريل 1990، شرع المعهد في تنظيم أنشطته العلمية، وقد تمكن طيلة هذه المدة من تحقيق حصيلة علمية مهمة تمحورت حول الأنشطة التالية:

1- المحاضرات والعروض.
2- الندوات والموائد المستديرة والأيام أو الحلقات الدراسية.
3- المهام العلمية.
4- الأبحاث والدراسات.
5- النشر.
6- خلق مجموعات البحث.

وسنقتصر في هذه الورقة على ذكر بعض النماذج منها، وللاطلاع عليها بتفصيل يمكن الرجوع إلى وثائق المعهد.

1-المحاضرات والعروض:

أ- المحاضرات: تميزت المحاضرات التي قام بها المعهد بالتنوع، حيث همت تخصصات وقضايا مختلفة مثل التاريخ والتراث، واللغة، والفلسفة، والسياسة، والاقتصاد، وقضايا التعاون الدولي والإفريقي...، كما شكلت فرصة لاستقبال باحثين وشخصيات بارزة في مجالات وتخصصات مختلفة على الصعيد الإفريقي أو العالمي من أجل إقامة علاقات تبادل ثقافي وتعاون دولي بين المعهد والمؤسسات التي يمثلها أو ينتمي إليها هؤلاء الباحثين[38].

ومن بين هذه المؤسسات العلمية نذكر على سبيل المثال:

- المعهد الأساسي لإفريقيا السوداء I.F.A.N التابع لجامعة الشيخ أنتا ديوب بالسنغال.
- مركز أحمد بابا التنبكتي بمالي.
- مركز الدراسات الإفريقية والآسيوية بالسودان.
- معهد الدراسات والبحوث الإفريقية بمصر.

- جامعة نورث ويسترن بالولايات المتحدة الأمريكية.
- مركز دراسات غرب إفريقيا بجامعة برمنغهام بانجلترا.
- المعهد الإيطالي الإفريقي بروما.
- معهد الدراسات الإسبانية.
وغيرها من المؤسسات العلمية والثقافية.

ومن الشخصيات البارزة التي شاركت في هذه التظاهرات العلمية، أحمد مختار مبو، وجون هونويك، ومحمد بنشريفة، وجون لوي تريو، وجورج نكونكو، وأوڤايي وغيرهم[39]

ب- العروض: وهي الأنشطة التي تمت داخل المعهد تحت إشراف أساتذته وبإشراك باحثين مغاربة أو أجانب في تخصصات مختلفة، من أجل تطوير البحث وتبادل وجهات النظر حول مواضيع معينة.[40]

2- الندوات والموائد المستديرة والأيام أو الحلقات الدراسية:

أ- الندوات: نظم المعهد العديد من الندوات إما بشكل منفرد أو بتعاون مع مؤسسات أخرى جامعية أو دولية، ومن بين هذه الندوات:

- ندوة دولية في موضوع: "المغرب وإفريقيا في بداية العصر الحديث"، بمراكش ما بين 23 و24 أكتوبر 1992، التي نشر أشغالها سنة 1995.
- ندوة دولية في موضوع:"فاس وإفريقيا"، بفاس ما بين 28 و30 أكتوبر 1993، بمشاركة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس-سايس، ونشر المعهد أشغالها سنة 1995. تم من خلالها التركيز على الدور الذي لعبته فاس عبر تاريخها الطويل في العلاقات المغربية الإفريقية، نظرا لموقعها الجغرافي ومؤهلاتها الاقتصادية وإشعاعها الفكري ومنزلتها السياسية، حيث ساهمت بشكل كبير في نشر الإسلام بإفريقيا، وفي انفتاح القارة السمراء على المشرق العربي الإسلامي وبلاد الأندلس والحوض المتوسطي[41].
- ندوة دولية في موضوع: "الأنظمة الانتخابية الراهنة بإفريقيا"، بمراكش ما بين 16 و18 دجنبر 1993.

نظم هذا الملتقى بتعاون ودعم من طرف مؤسسة كونراد أدناور وكذا مختبر المستقبلية الإفريقية التابع للجامعة الحرة ببروكسيل.

وقد انصب حول سياق هم أربعة محاور هي:

-معهد الدراسات الإفريقية الذي اهتم إلى حدود تلك الفترة بالمظاهر الحضارية للتراث المغربي- الإفريقي المشترك ويسعى إلى الانتقال نحو أفعال و ممارسات أكثر انتظاما، وذلك بإشراك الساسة المغاربة في برامجه التي تم فيها كذلك إشراك أفريقانيين لهم شهرة دولية.

-رغبة معهد الدراسات الإفريقية في إدراج نشاطه ضمن الشبكات الدولية التي تشكلت آنذاك كمراصد للتحولات بإفريقيا وأبناك لتبادل المعطيات، ولهذا الغرض

نظم المعهد هذا الملتقى بتعاون مع مختبر المستقبلية الإفريقية والجامعة الحرة لبروكسيل.
-التعريف بمكتسبات المسار الديمقراطي والتدبير الجماعي المغربي.
-هاجس تطوير/ تعميق النقاش حول محاور تهم الوضع الراهن لإفريقيا في العالم بعد الحرب الباردة.

وقد شارك في هذه التظاهرة الدولية باحثون منتمون لجامعات مختلفة، مغربية، أمريكية فرنسية بلجيكية، ألمانية، وإنجليزية، ومن بين الشخصيات المشاركة، رئيس المجلس الدستوري لبروندي.[42]

- ندوة دولية حول موضوع: "الآداب والثقافات في إفريقيا خصائص وتقاسم" بمدينتي الدار البيضاء والرباط، أيام 12-13-14-/2009/01، نشرت سنة 2010، وقد تناولت بالدراسة الخصوصيات المشتركة التي تتأسس عليها آداب وثقافات إفريقيا في سياق ما تحققه الثقافة الإفريقية في محيطها الجغرافي والتاريخي والحضاري من علاقات مائزة في خريطة الثقافات الإنسانية باعتبار مساراتها وتشكلات متخيلها عبر مراحل لون الإرث الشفوي، هذه الثقافة بشخصيات محلية استطاعت أن تجد لنفسها مكانا مشرقا في الآداب الإنسانية. كما أن المساهمات المكتوبة باللغة العربية تعد إضافة إلى الحوار الثقافي والعلمي حول النص الأدبي الإفريقي الثري والمنفتح على هوياته.[43]

- ندوة دولية حول موضوع: "نظرات استعادية/ استذكارية حول الأدب الاستعماري" Regards Rétrospectifs sur la littérature coloniale، المحمدية 25-26/مارس 2014.

- ندوة دولية حول موضوع: تربية وتكوين: رهانات من أجل التنمية. تركيز على إفريقيا.

Education et formation : Enjeux pour le développement.
Focus sur l'Afrique.

الرباط، 20 إلى 25 أبريل 2014.

-ندوة دولية حول موضوع: "أوربا- المغرب: الهجرة الإفريقية ورهانات حقوق الإنسان".

الرباط، 12-22 ماي 2014. بتعاون مع المعهد المتوسطي لحقوق الإنسان والمجلس الوطني لحقوق الإنسان، والوزارة المكلفة بالجالية المغربية المقيمة بالخارج وشؤون الهجرة والمنظمة الدولية للهجرة.

-ندوة حول: "المغرب وإفريقيا: التاريخ الحاضر والمستقبل". الرباط 12-13 يونيو 2014. بتعاون مع جامعة الحسن الثاني بالمحمدية وجامعة القاضي عياض، والمدرسة العليا للأساتذة.

انصبت حول الدينامية الخاصة التي عرفتها العلاقات بين المغرب والدول الإفريقية خلال العقد الأول من القرن 21، ولاسيما مساهمة المملكة في التنمية الاقتصادية

لهذه البلدان، وذلك بالإشارة إلى أن الزيارات الملكية لإفريقيا شكلت بعدا جديدا لهذه العلاقات، وقوت كذلك مصلحة المجتمع المغربي برمته المتمثلة في الامتداد الإفريقي المغربي الذي يرتكز على أسس تاريخية، وفكرية، ودينية ودستورية، واقتصادية.

- ندوة دولية حول موضوع:" المغرب والرهانات الإفريقية الجديدة". الرباط 23 أكتوبر 2014.

نظمت من طرف مجموعة الدراسات والأبحاث حول الأبيض المتوسط بشراكة وتنسيق علمي مع معهد الدراسات الإفريقية ومؤسسة فريدريك إلبرت.

وقد تم خلالها تبادل الرأي من طرف أصحاب القرار والفاعلين الأساسيين في مجال التعاون بإفريقيا حول مختلف التحديات ومؤهلات القارة، والدور الذي يمكن للمغرب أن يلعبه من أجل المساهمة في تطور إفريقيا.

- ندوة حول موضوع: "الثقافة والتنمية المستدامة بإفريقيا". الرباط 9 يناير 2012.

ناقشت التنمية المستدامة في مختلف محاورها في علاقتها مع الثقافة، كما اقترحت مقاربة ثقافية لبعض الرهانات مثل، معالجة النفايات، والتجهيز، وتهيئة الفضاءات/المجالات، ومحاربة التلوث وحماية البيئة، واستغلال الموارد الطبيعية بالوسط الحضري.

- ندوة دولية حول موضوع: "المغارب وإفريقيا جنوب الصحراء في الحرب العالمية 1914-1918". الرباط 28-29 نونبر 2014.

نظمت بتعاون مع أرشيف المغرب والجمعية المغربية للبحث التاريخي، وهي تظاهرة علمية ستتم عبر ثلاث مراحل بكل من المغرب، وتونس، وفرنسا خلال سنوات: 2014-2015-2016.

وقد سلطت المرحلة الأولى منها الضوء على النتائج الاقتصادية، والعسكرية، والسياسية والخيالية، كما ستكشف هذه الندوة عن المساهمة الفعلية والتضحيات الجسيمة التي قدمتها هذه الدول في المجهود الحربي الفرنسي، وفي هذا الصراع على المستوى الاقتصادي، والإنساني، والعسكري، وكذا النتائج والتداعيات التي تسببت فيها هذه الحرب على ساكنة هذه الدول وذاكرتها الجماعية.

ب- الموائد المستديرة: نظم المعهد عدة موائد مستديرة، نذكر منها:

- مائدة مستديرة بتعاون مع المعهد الجامعي للبحث العلمي بمقر عمادة جامعة محمد الخامس-السويسي حول:"دور الباحث في القطاع العام" يوم 15 يناير 1997.

- مائدة مستديرة حول:" دور الباحث في القطاع الخاص" يوم 22 يناير 1997.

- شارك فيهما العديد من الباحثين المهتمين بالموضوع من أجل تثمين دور البحث والباحث في التنمية.[44]

- مائدة مستديرة حول: "النظام السياسي القبلي في المغرب الصحراوي وفي موريتانيا". ما بين 8 و11 أكتوبر 1998.

- مائدة مستديرة حول: "المغرب ضمن محيطه الإستراتيجي". الرباط 12 دجنبر 2014.

نظمها فريق البحث "إفريقيا المجالات والحضارات"، بمعهد الدراسات الغفريقية بشراكة مع مختبرات وفرق البحث وشعبة "الحقوق والاقتصاد والتدبير" بالكلية المتعددة التخصصات بتازة.

وقد تميزت بكون موضوعها يوجد في قلب الحدث الاقتصادي، والسياسي الجهوي، وأعقبها نقاش قوي وبناء بين الطلبة والأساتذة الباحثين الذين شاركوا في هذه التظاهرة.

واستهدف هذا النشاط كذلك، تحويل هذه المائدة المستديرة إلى تقليد سنوي يناقش فيه الباحثون والخبراء مواضيع مختلفة تهم المملكة ضمن محيطها.

ج- اللقاءات الدراسية: نظم المعهد لقاءات دراسية في مواضيع مختلفة نذكر منها:

- اليوم الدراسي حول: "العلاقات المغربية الإفريقية"، يوم 26 نونبر 1995 بكلية العلوم القانونية والاقتصادية بالرباط. وقد نشرت أعماله ضمن منشورات المعهد سنة 1994.

- يوم دراسي إفريقي حول: "إدماج المؤهلات والكفاءات الجنوب صحراوية ضمن سوق الشغل". الرباط من 12 إلى 20 أبريل 2014. نظم من طرف كونفدرالية/ اتحادية التلاميذ والطلبة والمتدربين الأفارقة الأجانب بالمغرب تحت إشراف الوكالة المغربية للتعاون الدولي النسخة 32 من الأسبوع الثقافي والرياضي للطالب الأجنبي بالمغرب حول الموضوع أعلاه.

واندمجت هذه التظاهرة ضمن إطار الأنشطة الجامعية المنظمة لفائدة ومن طرف الطلبة الأجانب، والتي استهدفت تجميع الطلبة من مختلف الجنسيات ضمن إطار الأخوة الإفريقية، ومن أجل إطلاع الرأي العام على غنى التراث الثقافي والفني للقارة الإفريقية من خلال مجموعة من الأنشطة الثقافية، والاجتماعية، والرياضية.

كما شكلت هذه التظاهرة فرصة لعرض تحف فنية تقليدية، وأنشطة رياضية وتنظيم مسابقة علمية رياضية وأدبية. ووزعت خلال الحفل الختامي جوائز لفائدة الفائزين في مختلف المنافسات الرياضية.

- يوم دراسي حول: "اللغة العربية في غرب إفريقيا بين الواقع والأمل". الرباط 3 ماي 2014 بالمعهد.

وقد انصبت المداخلات أساسا على لغة الضاد في غرب إفريقيا والمملكة المغربية لتقوية الجوانب المشتركة بين دارسي العربية من إفريقيا لترقية مستوى التعليم العربي في المنطقة، وإعادة قراءة الجهود العلمية التي بذلها المتقدمون في تحرك عجلة اللغة العربية، وإبراز دور المستعرب في تهدئة الأجواء الاجتماعية، والسياسية بمنطقة غرب إفريقيا.

- يوم دراسي حول: "العلاقات بين المغرب وإفريقيا من أجل تعاون جنوب-جنوب ناجح". سطات 21 ماي 2014، بتعاون مع جامعة الحسن الأول بسطات وكذا مجلس الشؤون الخارجية بالرباط، وقد سمح هذا اليوم الدراسي بتسليط الضوء على طبيعة العلاقات بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء، والخروج بتوصيات من أجل الاستمرار في التعاون جنوب-جنوب، وقد تمحور حول أربعة محاور هي:
- تاريخ العلاقات بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء.
- العلاقات الاقتصادية بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء، المكتسبات التجارية التي حققها المغرب بالسوق الإفريقي-الجنوب الصحراوي.
- المغرب وسياسته تجاه إفريقيا جنوب الصحراء: التوجهات الكبرى لسياسة المغرب الحالية تجاه إفريقيا جنوب الصحراء في مظاهرها الدبلوماسية والأمنية.
- المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء الفرص الضائعة.
- يوم دراسي حول: "اقتصاد المعرفة والمجالات الترابية بالمغارب: التجارب المغربية التونسية ". الرباط 20 مارس 2014.

نظم مختبر الدراسات والأبحاث المتداخلة التخصصات حول إفريقيا التابع للمعهد بتعاون مع مختبر كلية العلوم الاقتصادية والتدبير لنابل (تونس) وكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بسلا، يوما دراسيا تم فتح النقاش فيه حول سبل تطوير الاقتصاد والمعرفة والمجالات الترابية بالمغارب من خلال النموذجين المغربي والتونسي.

3- المهام العلمية: قام الأساتذة الباحثون بالمعهد بتعاون مع آخرين من خارج المؤسسة بعدة مهام علمية سواء في الداخل، حيث شاركوا في العديد من التظاهرات العلمية التي نظمت في مختلف كليات ومعاهد البحث بكافة أنحاء البلاد، أو في الخارج، من خلال المشاركة في تظاهرات علمية وثقافية مرتبطة بإفريقيا شملت تخصصات متنوعة وبلدانا مختلفة، كتونس، ومصر، وموريتانيا، والسنغال، ومالي، وساحل العاج، والغابون، ونيجيريا، وجنوب إفريقيا. كما همت الدول الأور-متوسطية، كفرنسا، وإسبانيا وإيطاليا، ودولا أخرى، كإنجلترا، والسويد، وهولندا وبلجيكا، ودول أمريكا الشمالية، لاسيما منها الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا.

وتمكن الأساتذة الباحثون من خلال مواكبتهم لهذه التظاهرات العلمية، من ربط علاقات عديدة مكنت المعهد من ولوج شبكات مختصة في الدراسات الإفريقية والحفاظ عليها عن طريق المتابعة والمشاركة في العديد من الملتقيات، مما شكل فرصة سانحة لتقوية علاقات المعهد الخارجية وترسيخ مكانته في مجال الدراسات الإفريقية.[45]

4- الأبحاث والدراسات: فيما يخص النقطة الأولى، فقد تم تحقيق عدة مخطوطات نذكر منها:

- "إخبار الأحبار بأخبار الآبار" لمحمد بن أحمد بورد الديماني.ترجمة بول مارتي، تحقيق أحمد ولد الحسن، نشر التحقيق ضمن منشورات المعهد سنة 1991.
- "تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء" لأحمد بابا التنبكتي، تحقيق سعيد سامي ونشر ضمن منشورات المعهد سنة 1995.
- "تاريخ ابن طوير الجنة" للطالب أحمد بن الطوير الجنة الحاجي الواداني. تحقيق سيد أحمد بن أحمد سالم، نشره المعهد سنة 1995.
- "معراج الصعود إلى نيل حكم مجلب السود" أو "الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان" لأحمد بابا التنبكتي، تحقيق وترجمة فاطمة الحراق وجون هونويك سنة 2000، وهو عبارة عن فتوى حاول من خلالها أحمد بابا الإجابة على مجموعة من الأسئلة التي طرحها عليه سكان توات بخصوص بعض المشاكل التي تهم رقيق السودان[46]، وتكمن قيمته العلمية في كونه"نصا مؤسسا في الفقه المالكي ومصدرا أساسيا من مصادر تاريخ بلاد السودان في العصر الحديث"[47]، إذ بالإضافة إلى تأكيده على الضوابط الشرعية التي تحكم الاسترقاق عند المالكية في الغرب الإسلامي، فهو يقدم من خلال هذه الأجوبة "معلومات مفصلة عن بلاد السودان وتاريخ انتشار الإسلام بها"[48].
- "وصف الممالك المغربية 1603-1613م".تأليف خورخي ذي هانين، ترجمة عبد الواحد أگمير.
وهو يقدم وصفا حيا للأوضاع السياسية، والعسكرية، والاقتصادية التي عرفها المغرب بعد موت أحمد المنصور الذهبي.[49]
أما بالنسبة للأبحاث الميدانية الإفريقية، فقد سبق للمعهد سنة 1993 أن قام بتعاون مع الوزارة المنتدبة لدى الوزير الأول المكلفة بشؤون الجالية المغربية المقيمة بالخارج بدراسة ميدانية حول الجالية المغربية في كل من السنغال، وساحل العاج، ومالي، وقد تم نشر نتائج هذا البحث سنة 1997.
ومكن من تسليط الضوء على ميدان مغمور وغير متناول من طرف الباحثين، هو موضوع الهجرات جنوب- جنوب، ولاسيما منها البيإفريقية.
ويهدف هذا العمل أساسا إلى مقاربة ظاهرة هجرة المغاربة نحو الدول الإفريقية وتمكين المجموعة العلمية والسلطات المغربية المعنية بالهجرة بإفريقيا من أداة للاشتغال، وكذا توضيح التدخلات والقرارات التي ينبغي اتخاذها من أجل إشعاع مغربي على الصعيد الإفريقي، على المستوى الإنساني، والاقتصادي، والثقافي.
وقد انصب البحث حول ميادين متنوعة، استهدفت أساسا استخراج مظاهر الحضور المغربي بالدول الإفريقية الغربية الثلاثة الإنسانية/البشرية والاقتصادية والتاريخية.
ولم تقتصر هذه الدراسة على معالجة الهجرة فحسب، بل انصبت كذلك على مواضيع أخرى كتشخيص إمكانات وآفاق الحضور المغربي بهذه البلدان.

وتميزت الجالية المغربية بالبلدان الثلاثة بخصائص معينة، فبحكم تطورها، وأصولها المغربية وبنيتها الديمغرافية، وتوزيعها سواء منه السوسيو-مهني أو الجغرافي، كان من المفيد معرفة دورها ضمن الدينامية الاجتماعية للبلد المضيف.
وعلى المستوى الاقتصادي، ألح الباحثون على جدوى وضرورة معرفة إسهام المهاجرين المغاربة على المستوى التجاري بالخصوص، وكذا الوزن الاقتصادي للمجموعة/ للجالية المغربية المقيمة بالبلدان الثلاثة.

ومن جهة ثانية، أولى الباحثون اهتماما بالغا على الخصوص لدراسة علاقات هؤلاء المهاجرين مع بلدانهم الأصلية من أجل معرفة انعكاسات تيارات الهجرة هذه على المجتمع المغربي.
وفي الختام، فإن هذا العمل حاول أن يسلط الضوء على الصورة التي يتمتع بها المغربي والمغاربة لدى أهالي البلدان الثلاثة المدروسة.[50]
وأنجز بعض الباحثين دراسات وأبحاثا في إطار المعهد تم نشرها ضمن منشوراته.
5- **المنشورات:** حرص المعهد على تبني تقاليد للنشر، وتتميز منشوراته بالتنوع ومن بينها:
- **المغرب الإفريقي:** وهي نشرة إخبارية نصف سنوية تغطي أنشطته، من منشورات، وخلايا للبحث، ومقالات، وتقارير حول الأطروحات المناقشة، ومخطوطات، وتقديم نبذة عن بعض الشخصيات...، وتصدر باللغات الأجنبية، وقد صدرت منها عدة أعداد منذ سنة 1992 إلى الآن.
- **المجلة المغربية للدراسات الإفريقية:** وهي مجلة أحدثت في سياق سياسة المعهد العلمية في مجال البحث والهادفة إلى تطوير وتثمين أعمال البحث العلمي، وقد حلت منذ سنة 2014 محل "مجلة المغرب الإفريقي"، وهي تروم الانفتاح على الباحثين الجامعيين، المغاربة منهم والأجانب، المهتمين بالبحث والدراسات الإفريقية في مجالي العلوم الإنسانية والاجتماعية.
ويسعى معهد الدراسات الإفريقية من وراء إصدارها، إلى خلق إطار من شأنه أن يساعد على انتشار المنتوج العلمي، وتمكين الباحثين من تقاسم وتبادل الآراء فيما بينهم، والمساهمة في إزالة الحواجز بين التخصصات.

محاضرات:

- أحمد مختار امبو: أي مستقبل لإفريقيا؟ سلا، 1991 (بالفرنسية).
- جون هونويك: العلاقات الفكرية بين المغرب وإفريقيا جنوبي الصحراء عبر التاريخ الدار البيضاء، 1991، والطبعة2، سنة 2014 (بالفرنسية).
- أدام باه كوناري: العلاقات السياسية والثقافية بين المغرب ومالي عبر العصور، الدار البيضاء، 1991 (بالفرنسية).
- زكري ما يكوريما: دواعي سفارة برنو إلى المغرب عام 1583: تفسير جديد، الدار البيضاء، 1991.

- عبدو لاي إيلمان كان: التفاعلات الثقافية في العلاقات المغربية السنغالية، الدار البيضاء، 1992 (بالفرنسية).
- محمدو كان: عن تاريخ الأدب الإفريقي، الدار البيضاء، 1992 (بالفرنسية).
- أحمد بوشارب: المغرب وإفريقيا في سياق كشوف العوالم الجديدة، الدار البيضاء 1992 (بالفرنسية).
- محمد بنشريفة: مساهمة المغرب في تأسيس الحركة العلمية في شمال نيجيريا خلال القرنين 15 و16، الدار البيضاء، 1993.
- لاول بولايي: الياسة الجديدة في التعاون الأوربي، الدار البيضاء، 1993 (بالفرنسية).
- كورنوليوس أديبيكبا: الفنون التقليدية المغربية وفن الزخرفة الفولانية، دراسة مقارنة الدار البيضاء، 1995 (بالإنجليزية).
- باولو فرناندو دي موریاس فریاس: التاريخ في معاكسة الذاكرة: النقوش والحوليات والرواية الشفوية ومواقع النسيان في الساحل المالي، الدار البيضاء، 1993 (بالفرنسية).
- عبد العزيز بن عبد الجليل: المشترك في مجال النغم والإيقاع بين المغرب والشعوب الإفريقية المجاورة، الدار البيضاء، 1995.
- لوسي برينير: من الكتاب إلى المدرسة: تأملات تاريخية بخصوص التعليم الإسلامي في مالي، الرباط 1995 (بالفرنسية).
- تييرنو مختار باه: شيوخ ومرابطون مغاربيون دعاة ببلاد أداماوه (شمالي الكامرون)، الرباط، 1995 (بالفرنسية).
- جون لوي تريو: المسار الإفريقي للطريقة السنوسية، الدر البيضاء، 1996 (بالفرنسية).
- التيباري بوعسلة: التنمية القروية وسياسات التقويم الهيكلي بإفريقيا، الدار البيضاء، 1992 (بالإنجليزية).
- كارلا يزي: المؤسسات الجغرافية الاستكشافية: أصول استعمار إيطالي، الدار البيضاء، 1997 (بالفرنسية).
- جورج نؤو: أي رهانات لإفريقيا أمام العولمة الاقتصادية، الرباط، 1997 (بالفرنسية).

- بحوث ودراسات:

- فاطمة الحراق: حجاج من غرب إفريقيا في مغرب القرن 19، تمثل المؤسسات الإسلامية في المغرب، الدار البيضاء، 1994 (بالإنجليزية).
- حسن الصادقي: مخطوطات أحمد بابا التنبكتي في الخزائن المغربية، الرباط 1996.

ويبرر الباحث اختياره لهذا الموضوع وهذه الشخصية بالاعتبارات التالية:
- أن أحمد بابا من نبغاء زمانه في الثقافة العربية الإسلامية.

- أنه ترك العديد من المؤلفات في هذا الحقل.
- أن أغلب مؤلفاته لا تزال مخطوطة في الخزائن المغربية العامة والخاصة.[51]
- إسماعيل دياديي حيدرة: جؤدر باشا ومملكة المنصور إلى بلاد السودان (1591-1599)، الدار البيضاء، 1996 (بالفرنسية).
- يحيى أبو الفرح وعبد الواحد أگمير وعبد المالك بني عزة: التواجد المغربي في إفريقيا الغربية: حالة السينغال ومالي وكوت ديفوار، الدار البيضاء، 1997 (بالفرنسية).
- أحمد الشكري: مملكة غانة وعلاقتها بالحركة المرابطية، الدار البيضاء، 1997.
تم من خلاله تناول كيفية تداول الدراسات والأدبيات التاريخية قضية نشوء مملكة غانة، والأبعاد التاريخية لوصف البكري ثم الإدريسي لأحوالها فيما بين منتصف القرن الخامس ومنتصف السدس للهجرة، كما تطرق لطبيعة علاقة الحركة المرابطية بمملكة غانة وبلاد السودان بشكل عام، وهل توافق الشهادات المصدرية المتوفرة على الانهيار المزعوم لمملكة غانة على يد المرابطين سنة 469هـ/1076م.[52]
- قاسم الزهيري: دراسات إفريقية، الرباط، 1997.
- حسن الصادقي: أضواء على الثقافة العربية في إفريقيا في العصر الحديث مساهمة كنتة في الحياة الثقافية والسياسية،الرباط 2012.
أما فيما يخص النصوص والوثائق وكذا الندوات والمناظرات، فقد تم التطرق إليها سابقا.

6- خلق مجموعات للبحث: تم تكوين مجموعات عديدة للبحث بالمعهد من أجل خلق دينامية بين الأساتذة المنتمين له ونظرائهم المتعاونين من خارجه، ومن هذه المجموعات:
- مجموعة البحث حول الدراسات الصحراوية.
- " " " المصادر العربية لتاريخ إفريقيا.
- " " " المرأة والتنمية.
- مجموعة البحث حول العلاقات بين شمال إفريقيا وشرقها وجنوب الجزيرة العربية خلال عصور ما قبل التاريخ والعصور القديمة.[53]

III- الآفاق المستقبلية للدراسات الإفريقية بالمؤسستين المذكورتين: على ضوء وقفة التأمل هذه تجاه واقع الدراسات الإفريقية بكل من كلية الآداب والعلوم الإنسانية ومعهد الدراسات الإفريقية بالرباط، يمكن القول أنه باستثناء معهد الدراسات الإفريقية الذي راكم تجربة لا يستهان بها من خلال الأشواط المهمة التي قطعها في هذا الإطار، فإن حقل الدراسات الإفريقية بالجامعة المغربية والمغرب عامة، لم يتم إرساؤه بشكل جيد على المستوى الأكاديمي لعدة عوامل موضوعية نذكر منها على سبيل المثال:
- غياب تركيز خاص حول إفريقيا.

- " مشروع منهاج للدراسات الإفريقية.
- " التكامل والتنسيق بين الجامعات والمعاهد المغربية في مجال الدراسات الإفريقية، وكذا بين الباحثين المغاربة في نفس التخصص من جهة، وبينهم وبين الباحثين العرب والأفارقة والأوربيين من جهة ثانية.
- غياب تشجيع والتعريف بالدراسات الإفريقية الجادة، ومشاريع الأبحاث الجارية على جميع المستويات، الماستر، الدكتوراه وما بعدها، ولدى الباحثين.

لذلك ولتجاوز هذه الإكراهات، لابد من:

تقوية الدراسات الإفريقية بالمغرب عامة وعلى المستوى الأكاديمي خاصة، من خلال استغلال تجربة معهد الدراسات الإفريقية لخلق منهاج لها، وتقويمها وإرسائها بشكل مستديم ضمن المشهد الأكاديمي المغربي.

- تقوية وتشجيع الصلات والتعاون بين الجامعات والمعاهد المغربية، والباحثين في مجال الدراسات الإفريقية من خلال تنظيم لقاءات وطنية دورية لمناقشة قضايا ومواضيع تهم هذا الحقل المعرفي كما هو معمول به في دول أخرى.
- وضع حد لشبه القطيعة الموجودة بين الباحثين العرب والأفارقة والأوربيين وغيرهم عن طريق خلق جسور الحوار المشترك، والتنسيق وتنمية الشراكات وتبادل الخبرة بين مراكز البحث العربية، والإفريقية - الجنوب صحراوية، والأوربية وغيرها...ومثيلاتها المغربية.
- لابد من العمل على نشر إنتاجات الباحثين المغاربة المتخصصين في الدراسات الإفريقية، وإيجاد دليل بيبليوغرافي أو نشرة منتظمة عن إصداراتهم.

الهوامش:

1-Mauny, (R) : Les siècles obscurs de l'Afrique Noire.Fayard, Paris, 1970, p.61.

عماري الحسين، العلاقات العربية الإفريقية خلال القرن 19 المغرب والسودان الغربي نموذجا.
ضمن أعمال مجموعة البحث حول المغرب و إفريقيا 1-2 بكلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة الحسن – عين الشق بتعاون مع معهد البحوث الإفريقية، القاهرة، حول: العلاقات المغربية الإفريقية حصيلة وآفاق، سلسلة ندوات ومناظرات، ط1، الدار البيضاء، 1433هـ/ 2012م، ص..2

2-طموح فاطمة الزهراء ، "إفريقيا والمغرب".
معلمة، عدد 2، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، نشر مطابع سلا، 1989، ص.ص. 554.555.556.
والعروي عبد الله، "علاقات المغرب بإفريقيا ". مجلة *دراسات*، العدد الثاني، 1988، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أگادير، جامعة ابن زهر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص15.---3-نفسه، ص.16. و

Hunwick, (J) : Les rapports intellectuels entre le Maroc et l'Afrique subsaharienne à travers les âges. Publication de l'Institut des Etudes Africaines, Rabat, Séries conférences (2), 1990, p.7.

4-العروي عبد الله ، م.س، ص.23.---5-نفسه، م.س، ص13.--- 6- رزوق محمد ، الدراسات الإفريقية بالمغرب: واقع وآفاق.--- الموقع الإلكتروني: ديوان أصدقاء المغرب Fil://c:/Documents ٪ 20 and ٪ 20 settings/user

7-نفسه.---8- طموح فاطمة الزهراء، م.س، ص558.

9-نفسه.---10- نفسه.----11-نفسه. ---12-نفسه.----13-نفسه. و رزوق، م.س.---14- نفسه.

15-عماري الحسين، "حدود إسهام الدراسات الإفريقية في كتابة تاريخ المغرب الحديث قراءة وملاحظات أولية.
ضمن أعمال ندوة خمسين سنة من البحث التاريخي بالمغرب، مجلة البحث *التاريخي*، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، عددي 7-8، 2009-2010، ص.ص.118-.119.

16- نفسه، ص.128.---17-رزوق، م.س--- 18- طموح فاطمة الزهراء، "واقع الدراسات الإفريقية بالمغرب". مجلة *البحث العلمي*، عدد 48، 2002، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ص.ص.205-206.
19-رزوق، م.س. و طموح، م.س، ص.206. ---20-رزوق،م.س.و طموح، م.س، ص.209.
21- طموح، م.س، ص.210. ورزوق، م.س.
22- المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ج1 1984، ج2 1989.
23- أعمال ندوة العلاقات بين المغرب وإفريقيا، منشورات جمعية موظفي كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، منشورات عكاظ، 1992، ص.ص.73-97 .
24 - الفشتالي عبد العزيز، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا.دراسة وتحقيق عبد الكريم كريم، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، الرباط، 1972، ص.ص.78 إلى 81. و 117 إلى .162
25- أبو عبد الله الطالب، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور. تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م، ص..5
26-عماري الحسين،" العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي في بداية العصر الحديث من خلال كتاب وصف إفريقيا ".
ضمن المغرب في عهد الوطاسيين من خلال "وصف إفريقيا" للحسن الوزان، منشورات جمعية الحسن الوزان للمعرفة التاريخية، سلسلة دراسات وأبحاث تاريخية (1)، تنسيق محمد ستيتو، مطبعة الرباط نت المغرب، 2011، ص.ص.81.-98.
27-كربخال مارمول، إفريقيا. ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر غزال، الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة والنشر، مطابع المعارف الجديدة، ج1، الرباط، 1984، ص.ص.48 إلى 56.---28-طموح، م.س، ص.ص.205-206.
29-عماري الحسين، "حدود إسهام الدراسات الإفريقية في كتابة تاريخ المغرب الحديث قراءة وملاحظات أولية"، ص.134.
30-المغرب الإفريقي، نشرة معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، الأسدس 1، رقم 11-12، دجنبر- يناير 1997، ص..46
31-عماري الحسين، م.س، ص.133.--- 32- ضمن صفحة تصنيفات: أطروحات. الموقع الإلكتروني: ribat alkoutoub.com
33. عماري،م.س، ص.ص.132-133.
34- Mezzine,(L) : Le Tafilalt, contribution à l'histoire du Maroc aux XVII et XVIIIs. Publications de la faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Rabat, Séries Thèses 13, 1995, pp.270-367.
35- عماري، حدود إسهام الدراسات الإفريقية في كتابة تاريخ المغرب الحديث قراءة وملاحظات أولية، ص.135.
36-نفسه.--- 37- نفسه،ص.132.--- 38-طموح، م.س، ص.211.--- 39- نفسه.--- 40- نفسه، ص.212.
41- أنظر التقديم، فاس وإفريقيا العلاقات الاقتصادية والثقافية والروحية.منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس- فاس، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1995، ص.11.
42- Al Maghrib Al Ifriqi. Publications de l'Institut des Etudes africaines, n° 4 et 5, Janvier 1993-Juin 1994, Colloques et Séminaires, p.39.
43- أنظر تقديم كتاب، الآداب والثقافات في إفريقيا خصائص وتقاسم، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، سلسلة ندوات 12، مطبعة المعارف الجديدة، الدار البيضاء، 2010، ص.7.
44- طموح، م.س، ص.ص.212.--- 45- طموح ، م.صص214.--- 46- عماري، م.س، ص.132.
47- الحراق فاطمة و هونويك جون، معراج الصعود أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق، تحقيق وترجمة، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2000، ص.ص.13-14. وعماري، م.س، صص132-133.---48-نفس المرجعين والصفحات.
49- المغرب الإفريقي، نشرة يصدرها معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، الأسدس 1، رقم 11-12، دجنبر- يناير 1997، 23.
50- المغرب الإفريقي، م.س، ص.21.---51- المغرب الإفريقي، م.س، ص.23.---52- نفسه، ص..24
53- طموح، م.س، ص.219.

Abstract: Initially, it should be noted that the theme of African Studies in Morocco in general, and in particular Mohammed V University is important because it is linked with strong and deep historical ties between Morocco collected and Sub-Saharian Africa, these relationships we can say that they are as old as history, because they date back to an era far to the period before Islam, they are also complex and multifaceted and had aspects commercial, religious, diplomatic, cultural, and humanitarian, but beyond that, some recent studies suggest that understanding the course of Moroccan history can not be done, however, in the context of African history in general and its relations with sub-Saharian Africa in particular, and understanding of Morocco's ties with other countries in Africa is part of a project of understanding ourselves, it is a project designed on the structures of our being and to the extent that the disclosure of the reality of these ties with Africa is emerging in our past so that cooperation with it is embedded in the folds of our future.

Given the importance of this, and because the present of Africa as they say is a continuation of its historic past, this intervention aims to highlight the reality of African Studies at the University Mohammed V, and exactly at the Faculty of Arts and Humanities, and the Institute of African studies, in terms of results and prospects by answering the following questions:

What is the general context in which African studies appeared in both organizations cited?What are the main steps of these studies?What is the outcome of these studies and their future prospects?